مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (7) العدد (3) سبتمبر 2023
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2023/03/12 ، تاريخ القبول: 2023/06/22، تاريخ النشر: 2023/09/26

المنهج الاجتماعي وأبعاده في شعر "أحمد الشارف"

سالمة أحمد عبدالله سليم
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية / الجامعة الأسمرية الإسلامية / ليبيا
s.sleem@asmarya.edu.ly

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمنهج الاجتماعي، الذي يعد من أبرز المناهج النقدية، التي تعنى بالنص الأدبي، وذلك بالوقوف على أبعاد هذا المنهج في شعر أحمد الشارف، حيث أضفت الصِّبغة الاجتماعية جانباً دلالياً يوحي بمكونات المجتمع الليبي، كما يعكس نظرة الشاعر لتلك القضايا الاجتماعية التي عالجها من خلال قصائده، فصوّر الشاعر نظرة المجتمع الليبي بشكل عام للعديد من القضايا والظواهر الاجتماعية والدينية والوطنية والغزلية، وغيرها.

وقد عرض هذا البحث عدداً من النماذج الشعرية بالشرح والتحليل؛ للوقوف على معطيات المنهج الاجتماعي وأبعاده وتأثيره في تكوين القصائد الشعرية والقيمة الجمالية والفنية التي أضفاها هذا المنهج، وانعكست على قصائد الشاعر أحمد الشارف.

الكلمات المفتاحية: المنهج الاجتماعي، أحمد الشارف، الشعر.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فقد تعددت المناهج النقدية التي تنظر إلى النص الأدبي من أبعاد وزوايا مختلفة، داخلية وخارجية، فكل منهج نقدي يتبع خطوات معينة، وينهج طريقة خاصة يبحث من خلالها عن آثار معينة داخل العمل الأدبي، وبالتالي يخرج كل منهج بمجموعة من النتائج بناءً على الخطوات التي يرسمها ومن ضمن تلك المناهج النقدية (المنهج الاجتماعي) الذي يعد من أحد المناهج النقدية التي تعنى بالعمل الادبي من خلال المحيط الخارجي الذي شكل النص الأدبي وأثر فيه.

إن المنهج الاجتماعي يسلط الأضواء على الظواهر الاجتماعية داخل الأعمال الأدبية، ومدى التزام الأديب بها، وبروزها في النص الذي يعكس المكونات الاجتماعية التي انطلق منها العمل الأدبي شعرا كان أم نثراً، كما أن المنهج الاجتماعي ينظر للأديب من خلال تقديمه للظاهرة الاجتماعية بأسلوب أدبي مراعياً في ذلك انعكاس نظرة المجتمع، لا نظرة الأديب الخاصة، مع محاولة تقديم الحلول لبعض المشاكل الاجتماعية التي يعرضها الشاعر في عمله الأدبي.

لا يخفى على أحد أن المكون الاجتماعي له دور بارز وفعّال في التأثير على الأديب، ورسم الصورة الأدبية التي تتماهى مع مكونات النص الأدبي الأخرى، فالشاعر ابن بيئته، يعاني ما يعانيه مجتمعه، ويعيش نفس الظروف، لا يستطيع التنصل منها أو النأي بنفسه بعيداً عن المجتمع الذي نشأ فيه، ومن هذا المنطلق تبرز مقدرة الشاعر في توثيق الظواهر الاجتماعية التي تبنى عليها منجزاته الأدبية، من خلال عرضها ومناقشتها وتقديم الحلول لها وتطورها عبر التاريخ.

ومن هنا كان عنوان هذا البحث **(المنهج الاجتماعي وأبعاده في شعر أحمد الشارف)**، فقد سلط البحث الضوء على شعر (أحمد الشارف) ومدى تصويره للمجتمع الليبي الذي عاشه في فترة الثلاثينات، وكيف جسد الشاعر من خلال قصائده للعديد من الظواهر الاجتماعية، مراعياً في ذلك نظرة المجتمع لها، ومن خلال معالجته لبعضها، فكانت أغلب قصائده تمثيلاً دقيقاً للمجتمع الليبي، والمظاهر التي شكلت وكونت ذلك المجتمع، فكان للمنهج الاجتماعي تأثيره في توجه الشاعر وتحديد الموضوعات التي تناولها من خلال شعره، وذلك بالوقوف على بعض النماذج الشعرية التي تضمنها ديوان الشاعر (أحمد الشارف) من خلال الشرح والتحليل، والالتزام في عرضها بالترتيب للعناوين داخل الديوان، مع التنوع في المواضيع التي تم تحليلها وبيان البعد الاجتماعي فيها، ما بين مواضيع وطنية واجتماعية، ودينية.

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب اختيار الموضوع الوقوف على الجوانب الاجتماعية داخل أعمال الشاعر (أحمد الشارف)، على اعتبار أن العامل الاجتماعي شكل رافداً من روافد الكثير من قصائده، وكانت القضايا الاجتماعية مصدر إلهام له، لذلك كان المنهج الاجتماعي يتوافق مع الأعمال الشعرية للشاعر

وللوقوف على أساسيات ذلك المنهج، في تلك القصائد، وتسليط الضوء على البعد الاجتماعي في عدد منها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه دراسة تحليلية للأعمال الشعرية على ضوء المنهج الاجتماعي، في محاولة للوقوف على أبرز القضايا الاجتماعية، ومدى تصوير الشاعر لها، وتعايشه معها، ومدى تثمل الأديب لتلك القضايا؛ لهذا اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي من خلال رصد الظاهرة الاجتماعية في ديوان الشاعر، ومن تم تحليلها والوقوف على الحدود الاجتماعية، وبيان الجوانب الجمالية في تلك النصوص، وكيف استطاع الشاعر تصوير تلك القضايا واستيعابها ومن تم تضمينها لأعماله الأدبية وما قدمته من قيمة فنية وجمالية زادت من قوة النص وأدبيته.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن عدد من الأسئلة منها:

1. كيف صور أحمد الشارف الجوانب الاجتماعية من خلال شعره، ومدى تأثره بها؟
2. هل للبعد الاجتماعي تأثير في بناء قصائد الشاعر واختيار موضوعاته؟
3. ما القيمة الفنية التي أضفاها المنهج الاجتماعي على شعر الشاعر؟

الدراسات السابقة:

لقد تناول عدد من الدارسين والبحّاث شعر أحمد الشارف في موضوعات مختلفة، منها:

ـ البعد القومي في شعر أحمد الشارف، ناجية مولود الكلامي، مجلة كلية الآداب جامعة الزاوية،ع/ 21، ج/ 2، 2016م.

ـ القيم الإسلامية في ديوان أحمد الشارف دراسة وصفية تحليلية، غالية المنتصر على القمي، مجلة قرطاس، جامعة الزاوية، كلية التربية، ع/ 20، أكتوبر 2022م.

ـ التصوير البياني في شعر أحمد الشارف دراسة بلاغية تحليلية، إعداد: رجاء على محمد الكابازي، رسالة مقدمة للحصول على الماجستير في اللغة العربية، الجامعة الأسمرية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، 2022م.

غير أن الباحثة لم تقف على دراسات حول البعد الاجتماعي في شعر الشاعر.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم على النحو التالي:

المقدمة: وذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته وإشكاليته.

المبحث الأول: مفهوم المنهج الاجتماعي ونشأته ورواده.

المطلب الأول: مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم المنهج الاجتماعي.

المطلب الثالث: نشأة المنهج الاجتماعي ورواده

المطلب الرابع: نقد المنهج الاجتماعي

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي في شعر أحمد الشارف.

المطلب الأول: التعريف بالشاعر.

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي في العروبيات والوطنيات.

المطلب الثالث: البعد الاجتماعي في الغزليات.

المطلب الرابع: البعد الاجتماعي في الاجتماعيات.

المطلب الخامس: البعد الاجتماعي في النبويات.

الخاتمة: حوت على أبرز النتائج التي خلص إلها البحث.

المبحث الأول: مفهوم المنهج الاجتماعي ونشأته وروادة:

المطلب الأول ـ مفهوم المنهج لغةً واصطلاحاً:

أولا: المنهج لغةً:

يقال طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ فهو النَّهْجُ، والجمعُ نَهجاتٌ ونُهُجٌ ونُهوجٌ، وطُرُقٌ نَهْجَـةٌ وسبيلٌ مَنْهَجٌ كَنَهْجٍ، ومَنْهَجُ الطريقِ وضَحُـه، ونَهَجْـتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه والمِنهاجُ والمَنْهَجِ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ ومنها قوله تعالي:﴿لِكلٍ جعلنا منكم شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ﴾[1] وأَنهَجَ الطريقُ وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً والمِنهاجُ الطريقُ الواضِحُ المستقيم[2] .

ثانياً: المنهج اصطلاحاً:

هو مجموعة من الخطوات المنظمة والقـواعد التـي يسير عليها شخص ما حتى يصـل إلـى مبتغاه، والمنهج النقدي هـو الخطوات التـي يتبعهـا النـاقد منذ وقـوفه على العمل الأدبي وتتبع عناصره إلى أن يصل إلى غايته التي يبحث عنها فيه[3].

المطلب الثاني: مفهوم المنهج الاجتماعي:

يعتبر المنهج الاجتماعي من ضمن المناهج النقدية الحديثة التي تنظر للنص من الخارج، وتهتم به من خلال علاقته بالمجتمع، والظروف التي انتجت العمل الأدبي، ومدى استيعاب النص للأبعاد الاجتماعية، ومحاولة تقديم الحلول لبعض مشاكله من خلال الأعمال الإبداعية، حيث إنه يفسر كيف أن العمل الأدبي حدث ذو طبيعة اجتماعية، وتبعاً لكل ناقد وطريقته يتوقف عرضه لدور المجتمع من

(1) سورة المائدة، من الآية 50.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (نهج)، (دار صادر، بيروت)، (ط:2 ،1414هـ)، 383/2. ومختار الصحاح مادة: (ن ـ هـ ـ ج) ،(المكتبة العصرية، بيروت)، (ط: 5 ،1420هـ ـ 1999م)، ص:320.

(3) ينظر: مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، (المؤسس العربية للدراسات والنشر، بيروت)، (ط:1، 1979م)، ص: 395 ـ 396، ومناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، (دار الثقافة، القاهرة) ، (د: ط، 1997م)، ص: 17.

خلال العمل المدروس[1] "فالمنهج الاجتماعي هو دراسة العمل الأدبي على أساس كونه يُعدّ جزءاً من بنية النظام الاجتماعي فيخبرنا كيف ولد هذا العمل؛ وما هي علاقته بالأنظمة والبنى الاجتماعية الأخرى وإلى أي الأمور يهدف ويسير"[2].

فالمنهج الاجتماعي وليد المنهج التاريخي من خلال ارتباط تاريخ الأدب بتطور المجتمعات وتغيرها تبعاً لظروف وأزمنة معينة، فالعملية الإبداعية تتحرك بشكل موزي للمجتمعات صعوداً ونزولاً، فأصبح الاهتمام منصباً ـ بعد المنهج التاريخي ـ على المنهج الاجتماعي باعتبار أن العمل الأدبي تعبير عن الواقع الاجتماعي وتعدد الطبقات، فإننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه دون الوقوف على الظروف التي نشأ فيها هذا العمل والتي أسهمت في تكوينه، حيث يعتبر الأدب تمثيل دقيق للحياة على المستوى الاجتماعي وليس على المستوى الفردي، والذي تؤكده نظرية الانعكاس المحرك الأول في دراسة الأدب من الوجهة الاجتماعية [3].

يرى المنهج الاجتماعي الأدب من خلال المجتمع، حيث أن مهمة النقد الاجتماعي، ودور الناقد أن يقف على مدى فاعلية المجتمع في تشكيل العمل الأدبي، وإعلاء القيمة الجمالية فيه، والوقوف على المظاهر الاجتماعية، لذلك فإن الناقد يتعامل مع الظاهرة الأدبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية، مع بيان الصلة بين المجتمع والنص الذي نشأ فيه، وبالتالي فإن قيمة الأديب تكون تبعاً لمدى تصويره للمجتمع بشكل شفاف بعيد عن التزييف، كما أن المنهج الاجتماعي ينظر للمجتمع ـ عن طريق الأدب ـ من حيث كونه مجتمعاً واقعياً يمثل مكان ونشأة الأديب والأدب، أو كونه مجتمعاً مثالياً يتطلع إليه الأديب، أو باعتباره مجتمعاً يحتاج إلى الإصلاح والتطوير من خلال خطة يرسمها الأديب يقدم من خلالها

(1) ينظر: مناهج النقد الأدبي، إنريك أندرسون إمبرت، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، (مكتبة الآداب، القاهرة)، (د:ط، 1412هـ ـ 1991م) ، ص: 117 ـ 118.

(2) مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية، محمد دحروج، (دار البداية، عمان ـ الأردن)، (ط:1، 2015م ـ 1436هـ)، ص: 289.

(3) ينظر: مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، (ميريت ، القاهرة)، (ط: 1، 2002م)، ص: 45 ـ 46 . والنقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، (دار المسيرة، عمان ـ الأردن)، (ط: 4، 1432هـ ـ 2011م)، ص: 66 ـ 67.

الحلول [1]. إن المنهج الاجتماعي يتشكل من خلال العوامل الخارجية (الاجتماعية والتاريخية) التي تدفع الكتّاب إلى رصدها والكتابة حولها متأثرين بمحيطهم الاجتماعي، راصدين لظواهره المختلفة.

المطلب الثالث: نشأة المنهج الاجتماعي، وروّاده:

نشأ المنهج الاجتماعي في أحضان المنهج التاريخي، حيث أن هناك الكثير من نقاط التلاحم بين المنهجين على اعتبار أن العمل الأدبي هو تسجيل تاريخي لبعض الوقائع الاجتماعية، ويعتبر القرن التاسع عشر هو البداية الفعلية والانطلاقة نحو الاهتمام بالمنهج الاجتماعي من خلال النظر في العلاقة بين الأدب والمجتمع وذلك من خلال بعض الكتابات التي تهتم بهذا الجانب، منها ما كتبته (مدام دي ستايل) تحت عنوان (الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية) سنة (800 م)، والذي تناول تأثير بعض المعتقدات والأعراف والعادات على العمل الأدبي، وتأثير الأدب عليها، ثم جاء بعدها (دي بولاند) لينادي بفكرة أن (الأدب تعبير عن المجتمع)، على أن هناك من رد الجذور الأولى للمنهج الاجتماعي للكاتب (هيجيل) الذي ربط ظهور فن الرواية بتغيرات المجتمع، كما أن نظرية كارل ماركس لها تأثير كبير في نشأة هذا المنهج الذي يرى بأن هناك علاقة انعكاس تربط ما بين أديب وطبقات المجتمع، ولهذا يدعو إلى البحث عن صورة المجتمع من خلال الأدب[2].

ينهض المنهج الاجتماعي على دراسة الظواهر الأدبيّة في صلتها بالظواهر الاجتماعية، حيث ارتبط ظهوره بظهور وتطوّر العلوم الاجتماعية في المجالات الثقافية المختلفة، التي تعد منبع للإعمال الأدبية، إلا أن الظهور لهذا المنهج النقدي في الأدب العربي كان متأخّرا نسبيا بالقياس إلى الفترة التي ظهر وبرز فيها هذا المنهج في الدراسات العالمية، فالمنهج الاجتماعي نشأ حين شرع كتّاب المذهب الرومانسي، والواقعي يثيرون مسألة اختلاف النظرة الكلاسيكية للأدب عن نظرتهم التاريخية المستمدة

(1) ينظر: مناهج النقد الأدبي،إنريك أندرسون إمبرت، ص: 118.

(2) ينظر: مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية، محمد دحروج، ص: 291 ـ 292. ومقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، ص: 404 ـ 405.

من التاريخ، ومن ثم النظرة الاجتماعية للعمل الأدبي، التي جاءت وليدة للبعد التاريخي للأدب، فأصبح الاهتمام منصباً على علاقة الأدب بالمجتمع، ونظرية الفن للمجتمع(1).

وبالتالي يمكن دراسة العمل الأدبي والوقوف على الأبعاد الاجتماعية فيه من خلال بعض معطيات منها: المجتمع الواقعي الـذي نشأ فيه الكاتب ووجد، أو المجتمع المثالي الذي ينعكس عن المجتمع في أفضل صوره، أو من خلال تصوير الواقع وإيجاد حلول لبعض المشاكل الاجتماعية والسياسية. فالعمل الأدبي لابد أن يكشف عن إحدى تلك الوجوه على أقل تقدير؛ لأن الكاتب يلتزم بالواقع وهذا الأمر يساعد في تحديد هوية كل مجتمع وخصوصيته وما يعتريه من تطور أو ركود(2).

ـ أبرز رواد المنهج الاجتماعي:

للمنهج الاجتماعي رواد من خلالهم نشأ وتطور وانتشر هذا المنهج على أيديهم، فعرف بهم وعرفوا به، ومن أبرز وأشهر رواد المنهج الاجتماعي في الغرب (مدام دي ستال، دي بولاند، كارل ماركس، وجورج لوكاتش، وغولدمان) كما أن للمنهج الاجتماعي رواد في الأدب العربي اهتموا به وتحدثوا عنه وأسهموا في تأصيل هذا المنهج في النقد العربي، ونظروا من خلاله إلى محيط النص الذي يعد عامل ضغط يدفع الأديب إلى تمثل مجتمعه الذي ينتمي إليه وجعل مكوناته مادة تحاك منها العديد من الموضوعات ذات أبعاد اجتماعية من هؤلاء النقاد (طه حسين، وعباس محمود العقاد، وسلامة موسى، وعمر الفاخوري، ومحمود أمين، ومحمد مندور) وغيرهم، فقد ربط هؤلاء الظاهرة الأدبية بمنابعها التي استقت منها محتوى مادتها الأدبية، وعابوا فيما بعد على قصور العمل الأدبي عن تصوير المجتمع(3)

(1) ينظر: النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، صالح هويدي، (منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا)، (ط:1، 1426هـ)، ص: 96 ـ 97.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص: 119.

(3) ينظر: في الأدب الحديث ونقده، عماد علي الخطيب، (دار المسيرة، عمان ـ الأردن)، (د:ط، 1430هـ ـ 2009م)، ص: 257، و النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، أحمد زكي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، (د:ط ، 1972م)، ص: 128.

المطلب الرابع: نقد المنهج الاجتماعي:

لقد وجهت العديد من الانتقادات للمنهج الاجتماعي، حاله حال أي منهج أو علم لابد أن يشوبه بعض القصور، وقبل تقديم الانتقادات حول المنهج، نقدم عدداً من النقط التي يتميز بها هذا المنهج :

1. يصور المنهج الاجتماعي أن الأديب هو ابن بيئته، نشأ فيها ويتحدث عنها.
2. الانتاج الأدبي يعبر عن الواقع الاجتماعي ويمثله ويلتزم به.
3. يهتم المنهج الاجتماعي بمضمون النص ويبحث فيه عن القيم الاجتماعية، وبذلك يُفَسر الأدب باعتبار واقعه الذي انتجه.
4. يعلي المنهج الاجتماعي من شأن الأديب والنص الذي يلتزم فيه صاحبه بالقضايا الاجتماعية، وبالتالي الوقوف على الدلالات الاجتماعية والتاريخية لمجتمع ما بناء على معطيات العمل الادبي.
5. ربط العمل الإبداعي بمدى استيعاب الوعي الجماعي[1].

وكما أن للمنهج الاجتماعي مميزات فإن هناك في المقابل عدد من المآخذ حوله لتركيز أصحاب هذا الاتجاه على نقاط في العمل الادبي، وإغفالهم لنقاط فنية أخرى مهمة فيه، ومكون أساسي في انتاج العمل الأدبي، من هذه المآخذ:

1. التركيز على الجانب الجماعي وإهمال الفرد الذي أنتج النص.
2. الاهتمام بالمضمون كان على حساب الجوانب الجمالية الأخرى التي اسهمت في خروج العمل الأدبي بالصورة النهائية، كما أن نتائج النقد الاجتماعي في غالب تتجه نحو الجانب السياسي والمادي والأخلاقي للمجتمعات، مع امكانية تفعيل الجانب الاحصائي في تتبع الظاهرة الاجتماعية داخل العمل الأدبي.
3. ربط قيمة الأدب والأديب بمدى انعكاس المجتمع وتأثيره على العمل الأدبي، وإغفال الجوانب الأخرى من تفكير الأديب التي قد تكون خارج مسار المجتمع ولكنها ترفع من قيمة العمل

(1) ينظر: مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية، محمد دحروج، 303 ـ 304.

الأدبي، أي أن الانغلاق على مفهوم اجتماعية الأدب يصرف الاهتمام بجوهر الظاهرة الأدبية.

4. يركز المنهج الاجتماعي على الأعمال النثرية المتمثلة في القصة والرواية، من خلال تتبع مسار البطل فيها وتأثيره وتأثره في البيئة التي ينتمي إليها[1].

تلك أبرز الانتقادات التي وجهت للمنهج الاجتماعي، ومع ذلك فإنه حظي بكثير من الاهتمام من قبل الدارسين والنقاد، وتمثله العديد من الأدباء في كتاباتهم الإبداعية.

البحث الثاني: البعد الاجتماعي في شعر أحمد الشارف.

المطلب الأول: التعريف بالشاعر:

يعد الشاعر من أبرز الشعراء الليبيين وقامة من القامات الأدبية الذين اسهموا في إثراء الساحة الفنية والأدبية في ليبيا بالعديد من الأعمال الشعرية، التي بقية خالدة تسجل مرحلة مهمة من حياة الشاعر الأدبية، والتطور الذي شهده الأدب الليبي في تلك المرحلة، فالشاعر من مواليد (زليتن) سنة (1872م)، درس بالمعاهد والزوايا الدينية منها زاوية عبد السلام الأسمر، عُرف عنه ورعه وعلمه فقد كان فقيهاً وأديباً ناقداً له العديد من المقالات النقدية الأدبية التي نشرت في العديد من الصحف منها (الترقي، والرقيب، واللواء الطرابلسي، وليبيا المصورة) وغيرها، أسهم شعره المليء بالمواقف الوطنية والدينية والاجتماعية بإثراء المشهد الثقافي الأدبي الليبي، ومزال نتاجه حتى اليوم نبع لا ينضب لكل متزود بالجمال والذوق الأدبي، تنوع شعره ما بين النبويات والغزل والوطنيات والمراسلات والاخوانيات، وغيرها من الأغراض الشعرية التي أجاد فيها وأبدع، عرف عنه دماثة الأخلاق والحس المرهف والحكمة والقدرة على حل المشكلات، نشأ في أحضان المجتمع الليبي، فكان خير من عبر عنه، وعايشه ورسم همومه وقضاياه من خلال روائع قصائده التي تحفل بالوطنية والقومية توفي الشاعر في

(1) ينظر: المصدر السابق: 305 ـ 306. والنقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، صالح هويدي ص: 97 ـ 98.

سنة (1959م) ـ رحمـه الله تعالى ـ وقد خلف إرثاً أدبياً ثقافياً، يعكس مـرحلة تاريخية مهمة من مراحل المجتمع الليبي [1].

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي في العروبيات والوطنيات.

يعد المجتمع من الركائز الأساسية التي بنى عليها الشارف العديد من قصائده، فشكل مرجعية فنية ومادة خصبة للعرض والتقديم لها بصورة أدبية فنية شكلت مع مكونات النص الآخرى صوراً جمالية تجمع من المتعة والمنفعة في آن معاً، إن الروافد الاجتماعية باختلافها ـ سياسية، واقتصادية، وثقافية ... ـ التي تكونت عبر التاريخ في المجتمع الليبي، والتي عاصر الشاعر جزءا مهماً منها، دفعته إلى تمثلها، والحديث عنها والاهتمام بها، ومن تم تقديمها بطريقة أدبية تحاكي الواقع الاجتماعي وتنطلق منه، وتعالجه.

إن من أبرز القضايا التي طُرحت في المجتمعات العربية، والمجتمع الليبي تحديداً، وحفزت (أحمد الشارف) للحديث عنها هي قضية (العروبة والوطنية) فهي من أكثر وأبرز الأغراض الشعرية التي استنهضت همم الشعراء وجادت قرائحهم الشعرية للإبداع في هذا الجانب الشعري، فالوطنية والقومية العربية كانت تسرى في دماء الشعراء، بخاصة عند الشعراء الذين عانت شعوبهم ويلات الاحتلال والاستعمار، تماماً مثل ما حدث مع الشاعر(أحمد الشارف) الذي عاش في فترات متعاقبة من الاحتلال الذي عانت منه ليبيا زمناً طويلاً؛ لذلك جاءت قصائده تنبض بالحماس، وتتدفق منها الوطنية والعروبة والانتماء للوطن والحق في الاستقلال وطرد المستعمر، وقد صور العديد من المواقف التي تعكس رغبة المجتمع الليبي وتصور حاله في تلك الفترة، حيث يقول في إحدى قصائده[2]:

لا غرو إن يدعي الليبي أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القـرآن معجـزة تلوح كالدر والياقوت والـذهب
تخـاله في ارتيـاح من تجلده بالرغم عما به مـن شـدة التعب
عزم لديـــه وإيمان وتضحية يوم اللقاء بلا خـــوف ولا رهب

(1) ينظر: أعلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي، (دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان)، (ط:3، 2004م)، ص: 11 ـ 12. ومعجم الشعراء الليبيين، عبد الله مليطان، (دار مداد، طرابلس)، (ط:1، 2001)، ص:61. وأحمد الشارف دراسة وديوان، على مصطفى المصراتي، (الدار الجماهيرية، مصراته، ليبيا)، (ط:3، 1430هـ ـ 2000م)، ص: 12 وما بعدها.

(2) أحمد الشارف دراسة وديوان، على مصطفى المصراتي، (من قصيدة: عروبيات ووطنيات)، ص: 64.

افتتح الشاعر قصيدته بحق المواطن الليبي وفخره بالانتماء إلى بلاده ومن تم الفخر بعروبيته فيتحدث عن حال المواطن الليبي بألفاظ اجتماعية ودينية، بشيء من الزهو والإعجاب الذي يحق للشعب الليبي أن يتصف به، فيعبر عن ذلك بأن من حق الليبي أن يعتز بعروبته ووطنيته. وعلى الرغم مما عاناه من تبعات الاستعمار من نفي وتشريد وفقر، إلا أنه زرع في نفوسهم الإصرار والإيمان بالقضية، والتضحية من أجل الوطن، وهذه من أبرز القيم الاجتماعية التي غُرست في نفوس الشعب الليبي، والشاعر في كل ذلك يعتبر جزء من الشعب الليبي الذي يتحدث عنه، حاله حال أفراد مجتمعه وقد أصاب الشاعر في نقل هذه الصورة ورسم هذه الحالة الشعورية، بل وزاد من استنهاض الهمم والتحفيز للتمسك بالمبادئ من خلال التعريج على الجانب الديني، ولم يغفل الشاعر عن تقديم هذه الفكرة بطريقة أدبية جمالية استخدم فيها بعض الألوان البلاغية التي تضفي على النص اللمسة الفنية التي تزيد من عمق المعنى، فوظف التشبيه هنا حين شبه لغة القرآن اللغة العربية بالدر والياقوت والذهب، زيادة في الاعتزاز والافتخار بالانتماء إلى العروبة، ثم الصورة التي رسمها الشاعر بأن وصف المواطن الليبي بالجلد والصبر والتحمل والقوة، رغم ما يعانيه من الظلم والفقر وتعب إلا أنك تحسبه من شدة الإيمان والتضحية والإصرار على تجاوز المتاعب والانتصار على الغازي، تحسبه في رغد من العيش وراحة في النفس، والشاعر في كل ذلك يبث روح الانتصار، ويدفع نحو التفاؤل بأن كل الآمال والطموحات ستتحقق بوحدة العرب ووقوفهم صفاً في وجه العدو، فالشاعر استلهم هذه الفكرة مما يتناقله المجتمع ويشغله في ذلك الوقت من التطلع إلى الوحدة العربية والاعتزاز بالعروبة.

وفي مقابل ذلك يتحدث عن بعض الظواهر الاجتماعية التي استشرت في ضعاف النفوس، الذين استهوتهم الدنيا وملذاتها فخنعوا وركنوا للانصياع وراء أهواء النفس، فاتصفوا بصفات ينبذها المجتمع يقول في هذا الصدد(1):

الجبن عار ومــن أجلى مظاهره حـب التـــزلـف والـتمـويــه والكــذب

وإن تمشــت على الأوهام خطته لا غــرو إن أخطـأ المرمى ولم يصب

إن هذه الأمراض الاجتماعية التي تحدث عنها الشاعر هي سبب فساد المجتمعات وهلاكها وتأخرها وجهلها، الجبن والضعف والتزلف والتملق والنفاق والكذب من أجل تغليب المصلحة الشخصية على مصلحة الوطن، هي سبب للتفرقة وضعف الشعوب وهلاك المجتمعات، فقدم الشاعر ـ بعد هذين البيتين

(1) المصدر السابق، ص: 65.

ـ ما يجب التحلي به والتزامه؛ لتنهض همم الشعوب، وتتطور المجتمعات، وذلك بالبعد عن الذات الفردية، الصفات المبتذلة، واستبدالها بالصدق والإخلاص والتعاضد ونبذ الفرقة، والنظر بشكل جماعي حتى ترتقي المجتمعات تاركة الجهل والفقر والانحطاط، فيقول في أسلوب سلس سهل على الاسماع لأن الموضوع لا يحتاج إلى تكلف في الكلمات أو توعر في الطرح، فهو يخاطب مجتمع بسيط يحتاج إلى عبارات سهلة معبرة تلامس العقول والقلب ليُدرك المعنى المقصود، يقول(1):

وطالب المـجد لم ينجح له طلب إلا على الصدق والإخلاص في الطلب
ونهضة الشعــب أمـر لا ينفذه إلا التعــاضد مــن أبــنائــه النجــب
وقوة الصدق في أعمــالنا سبب للنصــر والشــيء يقــوى قوة السبب

فالشاعر هنا قدم البديل والحلول التي يجب على الناس الاتصاف بها، فهو هنا تمثل للمجتمع ونظر بعين الناقد فيه، فطرح المشكلة أولاً ثم قدم الحل لها، إن الفئة المتهاونة سهلة المنال ضعيفة النفس موجودة في المجتمع الليبي وغيره من المجتمعات، وهي سبب للكثير من المشاكل التي تعاني منها فالشاعر صور الواقع بصورة أدبية ناقدة، ثم لم يكتف بذلك بل أعطي في المقابل الحلول لهذه الظاهرة الاجتماعية التي تحدث عنها وشكلت ركيزة نصه.

من أبرز القضايا التي تشغل بال المجتمعات العربية، قضية الوحدة العربية فكل الشعوب العربية تنادي بها وتسعى إليها، لرد ظلم المستعمر عن تلك المجتمعات(2):

أَلَمّ بنــا شــوق يـذوب لــه الصخــر ويقضي علينا البؤس لو فقد الصبر
ومــا شــوقنــا إلا لــوحــدة أمــة يشــاد على مــر الزمـان لها ذكر
ولــم نر مــا يـدعو البـؤس والشقـا سـوى وطـن فيـه القطيعــة والهجر

يتحدث الشاعر هنا بلسان حال المجتمع الذي ينتمي إليه، فهو جزء منهم وينظر للأحداث بأعينهم ويصورها في شعرها كما يتمنوا، وهذا ما عبر به بأسلوب الجمع عندما يقول (ألم بنا) و(شوقنا) و(لم نر) كل هذه الأساليب توحي بالمشاركة المجتمعية من قبيل الشاعر وأفراد مجتمعه؛ لأنه يتحدث عن قضية ذات بعد اجتماعي تهم كل أفراد المجتمع، فيتحدث بلهفة وشوق للوحدة العربية والتعاضد العربي للنهوض بالمجتمعات، فذلك سبيل الرقي والتطور الذي يحقق السعادة والرفعة لتلك المجتمعات، وإن لم

(1) نفسه، ص: 65.

(2) قصيدة: نحن بنو أرض العروبة، ص: 68.

تتم تلك الغاية المنشودة ستسود الفرقة والشقاق بين العرب، هو سبب التخلف والجهل والانحطاط للشعوب، فالقطيعة والهجر والتفرق هو ما يدعو للبؤس والتعاسة، وهذا ما يؤكده في قصيدة أخرى يقول فيها[1]:

بتـنا علــى الظمــأ وفينا المنهـل وحي النبوة والكتــاب المنـــزل
والـــداء منــا والطــبيـب أمامنــا يصف الدواء لنا، ونحن نعطل
والخلـف أصبح من سلاح عدونا وبـــه يؤســر من يشاء ويقتل
والجهــل من أقوى أدلة خصمنا مـــاذا يكـــون جوابنـا إذ نسأل

الشاعر هنا يصف الحالة ويشخصها للمتلقي، فيقدم الحلول أولاً ثم يعقبها بالمشاكل والصعوبات التي تواجه الشعوب من التخلف والجهل، الذي يجعل تلك المجتمعات لقمة سائغة للعدو للنيل منها والتحكم بها والقضاء عليها، فهذه قضية ذات عمق اجتماعي عربي تحدث الشاعر عنها بإسهاب في العديد من قصائده؛ لأنها تمس المكون الديني والإنساني والاجتماعي للمجتمعات العربية. فعبر عنها الشاعر بلسان حال أبناء مجتمعه، يصف شعورهم وأحوالهم، وقدم ذلك أيضاً بلغة بسيطة بعيدة عن التعقيد، وربما أدى هذا الأمر إلى اتصاف عدد من النصوص الشعرية للشاعر بالتقريرية والمباشرة في تناول الأغراض والموضوعات. مـن أشهر القصائد التي ورثناها عن أحمد الشارف تلك التـي تتغنى بالأمجـاد والبطـولات، وتتحدث عن قوة وشجاعة الشعب الليبي، ووقوفه في وجه المستعمر صفاً واحداً تحدث فيها عن حال المجتمع الليبي الذي عـانى ويـلات الاستعمار، وعن البطولات التي سطرها المجاهدون الليبيون في المعارك، فالشعب الليبي مستعد للموت في سبيل الوطن ولن يرضى إلا بالعيش الكريم، مهما كلفه،[2] قدم ذلك بصورة أدبية ممتزجة ما بين السهولة والتفنن في انتقاء المفردات، معتمداً على تكرار بعض الألفاظ والانتقال ما بين النفي والاستثناء، والاستعارة في (لا نتقي الشر) فقد جسد الشر وجعله كالإنسان الذي يمكن الوقوف في وجهه والتغلب عليه. ذلك حيث يقول في هذه القصيدة[3]:

(1) قصيدة: بتنا على الظمأ، ص: 87.

(2) ينظر: الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، بداياتها ـ اتجاهاتها ـ قضاياها ـ أشكالها ـ أعلامها، قريرة زرقون نصر، (دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان)، (ط: 1، 2004م)، 83/1.

(3) قصيدة: رضينا بحتف النفوس، ص: 103.

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش إلا عزيزاً ولا نتـقي الشـر بـل يتقيـنـا
ما الحر إلا الذي مات حراً ولم يـرض بالعـيش إلا أمينـا
وما العز إلا لمن كان يفدي ذمـاما ويفنـي عليـه الثمينا

إن ديوان الشاعر يزخر بالعديد من القصائد التي تتغنى بالوطنية وتحتفل بالعروبة، حيث بلغت تلك القصائد واحد وعشرون قصيدة من مجمل قصائد الديوان، جميعها تحمل في طياتها قيماً اجتماعية وتصويراً لفترة زمنية عاشها الشاعر وسط مجتمع كان في أمس الحاجة إلى استنهاض الهمم والمناداة بالوطنية والوحدة العربية، فتلك القصيدة من أشهر قصائده الوطنية التي تمثل فيها للمجتمع الليبي وصور من خلالها الإصرار والعزيمة والروح القتالية التي استشرت في نفوس الليبيين ضد العدو، فقد حرص الشاعر أن يقدم هذه القصيدة بصورة جمالية تعتمد على تسارع في الكلمات ودقة في التعبير فهي أشبه بالنشيد الذي يردده المجاهد ليزداد حماسه وقوته، ويستنهض بها همم المجاهدين.

المطلب الثالث: البعد الاجتماعي في الغزليات

يعتبر الغزل من أشهر الموضوعات التي كتب فيها الشعراء، كلٌ تناول هذا الموضوع بطريقته الخاصة، وعبر عن مشاعره وأحاسيسه بأسلوبه، غير أن القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية تفرض على الشاعر بعض القيود التي تحتم عليه أحياناً الالتزام في طرح هذه الموضوعات الغزلية في المجتمعات المحافظة، زد على ذلك أن الشاعر (أحمد الشارف) يعد من فقهاء عصره؛ لذلك فإن تعامله مع هذا الغرض ـ الغزل ـ كان يمتاز بطابع خاص من الحياء والحشمة والعفة، ما يعكس مدى احترام الشاعر للمجتمع وللمرأة وللمشاعر، وتقديره لها، وهذا ما جاء في أغلب قصائده، فالشاعر "بلغ الستين وما زال يهيم في وادي الشعراء .. ويهزه الغرام، وتبعث فيه رؤى الجمال نشوة، فيرسل الشعر في الغزل وتصوير أفانين الجمال والشكوى من ربات الدلال"[1]:

قـل يا ذا الحبيب عساك ترضى ولا تـرضى صـدودك والتجني
تمنيـت المعيشـــة فيـك تـفنى وما طـلب المعيشـــة بالتمني
وطيب معيشتي في طيب شرب وصحـة راحـتي فـي راح دني[2]

(1) أحمد الشارف دراسة وديوان، علي مصطفي المصراتي، ص: 135.

(2) قصيدة: ولي روح تطير بلا جناح، ص: 143.

فالشاعر في النص السابق يراعي الجانب الأخلاقي والديني ـ بالإضافة إلى عادات المجتمع وتقاليده ـ في التماس رضا المحبوبة، فهو لم يتجرأ بالحديث على شكلها بالوصف، ولا عن حسنها وجمالها بالحديث المباشر الذي يصبح في متناول القراء، وإنما اكتفى بالتمني والتلميح وأن يعيش معها ما تبقى من عمره، فذَكَر لفظ الحبيب على الإطلاق دون أن يقيده بوصف أو ينسب لنفسه ذاك الحبيب فهو يتودد له ـ الحبيب ـ ويطلب رضاه على ألا يصده ويجافيه، الشيخ الشاعر راعى الجانب الاجتماعي المتحفظ في مثل هذه العلاقات بين الرجل والمرأة، وراعى الجانب الديني، فلم ينسب شيء إليه إلا عندما تحدث عن حياته ومعيشته وراحته.

يستمر الشاعر على النهج السابق في التغزل والحديث عن مغامراته الغرامية ولكنه متحفظ في ذلك شديد الدقة في انتقاء المفردات التي يتقبلها المجتمع، وهو بذلك يعكس لنا حال أبناء جلدته في تعاملهم مع هذا الموضوع بشي من الحشمة والسرية، والقدسية في علاقة الرجل بالمرأة، فيقول في إحدى قصائده يصف حاله وحال من على شاكلته ممن يعاني ويلات الهوى والعشق(1):

ما كنت أعرف لا الغرام ولا الهوى حتى نظرت إلى محياها البهي
ولكم نهيت سواي عن خطر الهوي لما هويت عذرت من لـم ينته
ولكم لقيــت من الحوادث ما كفى وقد انتهيت وصبابتي لــم تنته
وكــرهت كـل العــاذليــن لأنهـم يدعونـني لقبـول ما لا أشتـهي

نلاحظ في النص السابق العفة والغزل العذري الذي تمثله الشاعر، فهو لم يذكر محاسن المرأة أبداً ولم يتعرض لها؛ وإنما اكتفى بذكر محياها، فالوجه من الأمور الظاهرة التي لا حرمة في انكشافها للناس، فلم يذكر تفاصيل جسمها إلا وجهها الذي برز منها، وهو دليل على أن هذه المرأة تتصف بالحشمة والحياء، فلم يظهر من مفاتنها إلا وجهها، وقد فُتن الشاعر بجمالها، ثم أخذ يتحدث عن حال غيره ممن ذاق الهوى، وما كان يقدمه لهم من النصائح حتى وجد نفسه في حال أولئك الذين زجرهم ونصحهم بالابتعاد عن مسالك العشق والهوى، وما كان ينهاهم عنه وينصحهم به من مغبات العشق .

تعد هذه الظاهرة التي تناولها الشاعر ذات عمق في جذور المجتمع الليبي وكافة المجتمعات منذ الجاهلية إلى عصرنا هذا، فالعلاقة بين الرجل والمرأة قائمة وغرض الغزل بأنواعه موجود ومستمر وكتب عنه الشعراء كلٌ حسب مرجعيته الاجتماعية والنفسية والدينية، والشاعر هنا فرد من هذا المجتمع

(1) قصيدة: نظرة فحب، ص: 149.

الذي ينتمي له فحديثه عن هذا الغرض الشعري كان وفق عادات وتقاليد المجتمع الليبي، مما يضفي على المرأة مزيداً من الرفعة والمكانة المرموقة التي ينبغي أن تحظى بها. يقول في قصيدة أخرى: (1).

تـرنـم أيـهـا الســاقي عـدتـك اليـوم أحـزان
بمـــن يشتـاقـهم قلبي وهم فـــي القلب سكـان
ولـي فـي حبـهم ســر وبعـد الســر إعـــلان
سـرى منـي لهم طيـف ودمـع العيـن طوفـان
وفي الأحشاء قد نشبت لفـرط الوجـد نيـران

يتحدث الشاعر عن لواعج حبه وشوقه التي يعانيها، ولم يكون بمقدوره التصريح بتلك الحبيبة التي فعلت كل ذلك به، حتى أصابه الحزن من فرط الشوق، وأن ما بقي من أحبابه طيف يسامره ويذكره ويمر بخاطره، فيزيد ذلك الطيف من الأسى والحزن الذي تلبس بالشاعر، واصفاً تلك الحالة التي تعتريه بالنيران التي تستعر في الأحشاء، لا أحد يراها ولا يدركها ولا يستطيع البوح بها فهو يعاني لوحده فالشاعر في أغلب قصائده ذات الطابع الغزلي تحمل سمة الحشمة، والغزل العذري العفيف مراعياً في ذلك تركيبة المجتمع ـ بعاداته وتقاليده ـ الذي ينتمي إليه، ونظرته في مثل هذه العلاقة، كما أنه راعى بالدرجة الأولى الجانب الديني، فسما بمشاعره بعيداً عن اللهو والعبث، وبما لا يتوافق والدين الإسلامي، فجاءت قصائده ذات بعد اجتماعي أخلاقي، أضافة مزيداً من القداسة والحياء على المرأة وعلاقة الرجل بها.

المطلب الرابع: البعد الاجتماعي في الاجتماعيات.

تناول الشاعر العديد من القضايا الاجتماعية التي تتعلق بمكونات المجتمع الليبي، وتمس واقع حياته اليومية، فالشاعر في هذا الجانب تحديداً مثّل المجتمع خير تمثيل، وناقش هذه القضايا التي تمس الحياة اليومية للفرد الليبي، فيقول في إحدى قصائده التي يحفل فيها بالشباب وقدراتهم ومواهبهم وأثرهم في بناء المجتمع وتطوره(2):

فزتـم اليـوم بِيُمـنٍ وأمـانـي يـا بنـي العصـر وشبّـان الأماني
قـد دعا الداعي إلى طيب اللقا لقـي المـرء بـه روض التهـاني

(1) قصيدة: ترنم أيها الساقي، ص: 226.

(2) قصيدة: تحية فن، ص: 249.

كـل مـا نـرجوه منكـم أن نـرى أمـركـم بيـن معـيـن ومعـان
متعـة ينطلـق الشـعـر بهـا كـانطلاق الماء في روض الجنان

فالشاعر أدرك دور الشباب وأثره في نهوض المجتمع، فشد على أيديهم وشجعهم، وأنه ومن مثله ينتظرون الكثير من فئة الشباب، بأنهم إذا وقفوا يداً واحدةً وأعان كل منهم الآخر، كان الوصول إلى الهدف والمبتغى أقرب وأسهل، وكان ذلك دافعاً لقول الشعر ونسج الابيات التي تشيد ببطولة وكد أولئك الشبان وسعيهم للعطاء والبناء، وتطوير مجتمعاتهم.

حقا قد واكب الشاعر المتغيرات والتطورات التي شهدها المجتمع الليبي، بدخول بعض الآلات الحديثة، التي ليس لهم سابق معرفة بها، لم يعهدوها ولم يتعاملوا معها من قبل، منها (المذياع) الذي يعتبر نقلة نوعية على مستوى المجتمع ودعماً للجانب الثقافي والاجتماعي، وكيف أثرت هذه الآلة الحديثة في حياة الناس، بأنه وسيلة سهلة للتواصل، فقرب البعيد وساعد في إيصال الفن والأدب ومناقشة الأمور والقضايا التي تتعلق بحياة الناس، يقول الشاعر في ذلك(1):

إن لـلراديـو في النـاس يداً قـربت كـل بعيد فـاقتـرب
آلة قـد وجـب الشكـر لها وهي في العالم إقليد الذهب
آلة السمـع وإن شئـت فقل آلـة الفـن وينبـوع الأدب
لا يـكن فكرك فـي مصدرها حائرا ما بين صدق وكذب

الشاعر هنا استخدم أسلوباً بسيطاً سهلاً، يتماشى مع الفكرة التي يتحدث عنها دون تعقيد أو تكلف ينحو نحو التقريرية والمباشرة، فهو يخاطب عامة الناس ويتحدث عن أمر يخصهم، طرأ على حياتهم ودخل بيوتهم، المتمثل في (المذياع)، وقد استخدم اللهجة العامة في وصفه لهذه الآلة (الراديو)، فجاءت لغته سهلة وأسلوبه بسيط واضح، يحمل في طياته بعداً اجتماعياً ثقافياً ربط فيه شعره بالواقع الاجتماعي المعاش وعكس نظرة الناس لهذه الآلة من خلال شعره.

ومن منطلق وظيفة الشاعر التي تقلدها لأكثر من خمسين سنة في مجال القضاء، قد مرت عليه الكثير من القضايا الاجتماعية التي شغلت الناس على مختلف مستوياتهم، ومن أبرز تلك القضايا قضية الطلاق، والخلاف الذي ينشأ بين الزوجين، فمن واقع تجاربه التي خاضها بنفسه، وعاشها بين الأطراف المتخاصمة، تحدث في شعره عن هذه القضية التي لها أثرها السلبي على المجتمع على

(1) قصيدة: الراديو، ص: 252.

اعتبار أن رابطة الزواج هي ميثاق غليظ بين الرجل والمرأة، وفي حال تقطعت بهم السبل وانعدمت الحلول، واستشرى بينهم الشقاق والخلاف، فإن الحل الأمثل هو انفصالهما بالطلاق، يقول واصفة هذه القضية الاجتماعية(1):

فتــاة الحي تحرسها صفـات من الأخلاق واسعـة النطـاق
فتــاة لا تريـد سـوى اقتــران بـزوج لا يفكر فـي الطــلاق
ويـأبى أن يُضَــارِرُها بـشيء ليرغمها على تـرك الصداق
وخيــر من وصالهما انقطاع إذا كان المصير إلــى فـراق
ولم يكـــن ارتباطهما بشيء إذا ارتبطــا بـود غير بــاق
يـريــد الله بينهمــا حــياة تــقوم على المودة والوفــاق

فالقضية الاجتماعية التي تحدث عنها الشاعر وتناولها، نابعة من واقع الحياة فهو لم يكتف بعرضها فقط، وإنما قدم الحل الأمثل في مثل هذه الحالات، وعلل سبب الطلاق والانفصال في انتفاء الود والتراحم بينهما، الذي جعله الله ـ تعالى ـ من أسمى الغايات الزوجية، التي تكفل قيام حياة ملؤها المودة والرحمة، فإذا خلت تلك الحياة من هذه المقومات، أصبح الطلاق والانفصال هو الحل الأمثل، دون تعسف أو ظلم للمرأة، أو انتقاص من حقها الذي شرعه الله ـ تعالى ـ لها.

يطالعنا الشاعر في قصيدة أخرى يتحدث فيها عن ظاهرة اجتماعية انتشرت بين أغلب فئاته، عانى منها الكثير، وكانت سبباً في تأخر المجتمعات، فقد اتخذ بعض أبناء المجتمع الكذب والتزوير سبيلاً للوصول إلى غاياتهم، لا يهمهم حرام ولا حلال، من حقهم أو من حق غيرهم، همهم في الحياة التسابق وراء ملذات الدنيا، وتحصيل النصيب الأكبر منها، هذا الأمر جعل بعض البشر يتصفون بصفات تنافي الفطرة البشرية والخُلق السوي، وجعلوا طريق الخطأ والتقصير والإثم هي طريقهم ومنهجهم، فهذه من أخطر الأمراض الاجتماعية التي أوقفنا عليها الشاعر، ونبه عليها وحذر منها في قوله(2):

خِلتُ قوماً أخلصوا فيما وجب ثم قـد ضلوا وتاهوا مـا السبب
إن للشيطــان سيفـا عنــدمـا شهــر السيــف عليـهم فغلــب
نسجــوا مــن كيــده أرديــة جعلــوا منهــا غطــاء للكــذب

(1) قصيدة: فتاة الحي، ص: 253.

(2) قصيدة: أردية الكذب، ص: 281.

لا يبـــالـــون إذا مـــا أكـلـــوا كل مـا دب على الأرض وهب
حذراً مـــن أن تـــراهم ظهروا مظهـــر التهمـــة فيـــه والريـب

في أسلوب تعجب من الشاعر حوْل من يبدّل رأيه ويغير طباعه، وينافي ما جبل عليه بالفطرة، وما يدعو له الدين الإسلامي في تحري الصدق والتخلق بخلق الإسلام، فقدم الشاعر أولاً ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الأخلاق والصفات الحسنة، ثم سرعان ما أفصح عما ينافي كل ذلك في عجز البيت الأول، ويستمر في الوصف لهذه الفئة من الناس التي باعت نفسها للشيطان وللملذات والأهواء، فسيف الشيطان الذي تحدث عنه الشاعر ليس على الحقيقة وإنما أراد أن يقرب الصورة بهذا الأسلوب، بأن للشيطان سلطان على الإنسان ضعيف الإيمان، فأغواه حتى انتصر عليه، ومن ثم يتصف بتلك الصفات التي ذكرها الشاعر وغيرها، وما لها من مخاطر في بناء المجتمع وتطوره.

هذه النماذج وغيرها عالجها الشاعر، وعكس نظرة المجتمع فيها، رصدها وتأثر بها وصورها بأسلوب سهل متناول، ثم عرضها بفكرة بسيطة تصل إلى القارئ دون عناء، فتمثل فيها الشاعر للمجتمع باعتباره أحد أفراده وينتمي لهم ويعكس وجهة نظرهم في تلك الظواهر والقضايا الاجتماعية.

المطلب الخامس: البعد الاجتماعي في النبويات.

تحفل العديد من الدواوين الشعرية بالقصائد والمدائح الدينية النبوية، التي تعكس مدى ارتباط الشاعر الروحي والديني، ومدى تعلقه بتعاليم الدين الإسلامي والتزود من فضائل حب النبي ﷺ والتحلي بشمائله وخصاله، واتباع هديه. والشاعر (أحمد الشارف) من بين الشعراء الذين ازدانت قصائدهم بالمدائح النبوية فمن بين القصائد التي تحدث فيها الشاعر عن مبعث النبي ﷺ والهدي الذي جاء به وأنار عقول البشرية، في أسلوب سهل واضح المعاني، يعكس نظرة عامة الناس وعلاقتهم بالنبي ﷺ وتعلقهم به واتباع سنته وهديه، وإحيائهم لذكرى مولده عليه السلام بالمدائح والاذكار، يقول[1]:

فـالله قـد بعـث الـنبـي محـمـداً لـتَـؤمـه ولتهـتـدي بـهـداه
لولاه ما اتضح السبيل إلى الهدى كـلا ولا عـرف الهـدى لـولاه
وحَبَـاه بالخـلق العظـيم وحبـذا مـن كان بالخلق العظيم حبـاه
ولأهـل بـدر والصحـابة كلهـم أضحى لواء النصر تحت لـواه
وليوم مـولده الشـريف كما تـرى أثـر تخلـد فـي الـورى ذكراه

(1) قصيدة: مولد الرسول ﷺ، ص: 347.

ولدتـه آمنـــة فحـــاز بـأمنـــه قصبات سيف لم تكـن لســواه

فالشاعر هنا يرتبط بالنص ارتباطاً دينياً، يتحدث فيه عن الرسول ﷺ وفضائله وهديه، ومن الأمور التي تناولها الشاعر، والتي نجدها في نفوس المسلمين قاطبة هي حب النبي ﷺ والتعلق به، فهو القدوة التي ينبغي على المسلمين اتباعها، وأن ينهجوا بنهجه، فالقلوب مليئة بحب النبي ﷺ، واتباع هديه دليل على محبته، وهذا ما يترجمه الشاعر في الأبيات الآتية، التي تشف عن مدى تعلق الشاعر ومن قبله تعلق المجتمع الليبي والإسلامي بالنبي محمد ﷺ ، حيث يقول(1):

ولله أمـــــر في هــواك مسلـم وفيــه لغير العاشقيـن جـدال

وقـد علم الواشون فرط صبابتي فلم يبق منها للمقال مجـــال

تــجرعت كـأس الـود مــريرة ألا كُـــل ودٍ في هــواك زُلال

فعشق الرسول ﷺ لا يعادله عشق، به تُشفى الروح ويَستقيم أمر المسلم، ويزداد قرباً من الله ورسوله يستمر الشاعر في الحديث عن هذا الحب والتعلق، فقد مثل المجتمع الذي خرج منه خير تمثيل في هذا الجانب يقول(2):

ولو لم يكن في القلب حب محمد لعمَّـت بـك البلوى ودام ضـلال

نبي الهدى قـد أوجب الله صدقـه به الفرض فرض والمحال محال

وأكــرم مبعوث وأفضل شــافـع إليــه أمــور المـذنبين تحـــال

قد منــح المــولى الكريم لــذاته جمــالاً غشتــه هيبـة وجــلال

من خلال النماذج السابقة من ديوان (أحمد الشارف) نلاحظ أن الشاعر قد عكس في شعره المجتمع الذي نشأ فيه واكتسب طباعه، وسار على نهجه، فصوره ومثله خير تمثيل، جسد الواقع الليبي من خلال نسج قصائده التي تحفل بالعديد من القيم الاجتماعية والفنية، فمن خلاله نستطيع الوقوف على الكثير من تفاصيل مكونات المجتمع الليبي، في الجانب الديني وإحياء المناسبات الدينية، وأبرز القضايا الاجتماعية التي تنبع من واقع الحياة اليومية كالطلاق وأثره في الحياة الأسرية، وقيمة المرأة ونظرة المجتمع لها، وبعض الصفات الأخلاقية التي يتصف بها البعض كالكذب والغش والرشوة والغدر، وفي المقابل الصفات المحمودة من كرم الأخلاق والالتزام الديني، وقوة الشباب وفعاليتهم في بناء المجتمع

(1) قصيدة: حب محمد، ص: 248.

(2) نفسها، ص: 349.

والوقوف في وجه كل خطر يمكن أن يهدد المجتمعات، كما تحدث عن الرابط القومي العروبي الوطني الذي شغل الشاعر، وتحدث عن أهميته ودور المجتمع بأفراده في الإيمان به، وتعزيز الشعور به وبضرورة الوحدة العربية، والدفاع عن الوطن وعن الشعوب الأخرى، كما أنه لم يغفل تناول الجانب الشعوري والحديث عن المشاعر والأحاسيس وقيمتها والتعبير عنها، من خلال علاقة الرجل بالمرأة والغزليات التي أبدع فيها الشاعر، مراعياً في ذلك عادات وتقاليد مجتمعه، ومعبراً في ذلك عن حال الكثير من أفراده، بما تسمح به التعاليم الدينية والأعراف الاجتماعية، كل ذلك وغيره من الموضوعات والقضايا التي تناولها الشاعر، وأوحت بالقيمة والبعد الاجتماعي الذي كان ظاهراً جلياً في طريقة عرضه، وخوضه في الموضوعات بطريقة عبر فيها عن شعوره محاكياً شعور أبناء مجتمعه الذي ينتمي إليه، بألفاظ سهلة بعيدة عن التعقيد والتكلف، تصل إلى القارئ بأبسط الصور وأعمقها معنى.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، فمن خلال هذه المعايشة مع الشاعر رفقة المنهج الاجتماعي، ومن خلال الوقوف على بعضٍ من النماذج الشعرية للقصائد التي عكس فيها الشاعر البعد الاجتماعي، توصل البحث إلى جملة من النتائج التي من أهمها:

1. يقوم المنهج الاجتماعي على إبراز المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تشكيل النص الأدبي، وكيفية تعايش الشاعر مع تلك المؤثرات، ومدى تفاعله معها وتعبيره من خلالها على المجتمع الليبي وقضاياه.
2. يعد المكون الاجتماعي من أبرز القضايا والموضوعات التي تناولها واستند عليها الشعراء في مرحلة البدايات للشعر الليبي.
3. يعتمد المنهج الاجتماعي على كون الأديب جزء من البيئة التي ينتمى إليها، فيبني أعماله الإبداعية من وجهة نظر مجتمعه، وهذا من نلحظه في قصائد أحمد الشارف، فقد كان خير ممثل للمجتمع الليبي من خلال رصد الظواهر ومحاكاتها كما يتداولها أفراد المجتمع الليبي.

4. مع وجود الجانب الجمالي والإبداعي لدى الشاعر في تناول العديد من القضايا الاجتماعية؛ إلا أن التقريرية والمباشرة شكلت الجزء الغالب من شعر الشاعر، وتحديداً في بعض القضايا الاجتماعية التي تتطلب البساطة والسهولة في الطرح.
5. كان الشاعر في أغلب موضوعاته المختلفة، يلتمس ويراعي الجانب الاجتماعي في طرحها وتناولها، وتقديم الحلول لها.
6. يشكل المجتمع عاملاً مؤثراً في أدب أحمد الشارف، حيث جاءت قصائده انعكاساً للمد الاجتماعي بقضاياه وظواهره المختلفة.

تلك هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال هذه الوجهة النقدية وذلك بتوفيق من الله سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أحمد الشارف، دراسة وديوان، على مصطفى المصراتي، (الدار الجماهيرية، مصراته، ليبيا)، (ط:3، 1430هـ 2000م).
3. أعلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي، (دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان)، (ط:3، 2004م).
4. الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، بداياتها ـ اتجاهاتها ـ قضاياها ـ أشكالها ـ أعلامها، قريرة زرقون نصر، (دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان)، (ط: 1، 2004م).
5. في الأدب الحديث ونقده، عماد علي الخطيب، (دار المسيرة، عمان ـ الأردن)، (د:ط، 1430هـ ـ 2009م).
6. لسان العرب، ابن منظور، (دار صادر، بيروت)، (ط:2 ،1414هـ).
7. مختار الصحاح، (المكتبة العصرية، بيروت) (ط:5،1420هـ ـ 1999م).
8. معجم الشعراء الليبيين شعراء صدرت لهم دواوين، عبد الله مليطان، (دار مداد، طرابلس، ط:1، 2001م).
9. مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، (المؤسس العربية للدراسات والنشر، بيروت)، (ط:1، 1979م).
10. مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، (دار الثقافة، القاهرة) ، (د: ط، 1997م).

11. مناهج النقد الأدبي، إنريك أندرسون إمبرت، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، (مكتبة الآداب، القاهرة)، (د:ط، 1412هـ - 1991م) .
12. مناهج النقد الأدبي المناهج الكلاسيكية، محمد دحروج، (دار البداية، عمان - الأردن)، (ط:1، 2015م - 1436هـ).
13. مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، (ميريت ، القاهرة)، (ط: 1، 2002م).
14. النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، أحمد زكي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، (د:ط ، 1972م).
15. النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، صالح هويدي، (منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا)، (ط:1، 1426هـ).
16. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، (دار المسيرة، عمان - الأردن)، (ط: 4، 1432هـ - 2011م).

The social approach and its dimensions in the poetry of Ahmed Al-Sharif

Salma Ahmed Abdullah Saleem

ABSTRACT

This research aims to introduce the social approach, which is one of the most prominent critical approaches that are concerned with the literary text, by standing on the dimensions of this approach in the poetry of Ahmed Al-Sharif, where the social character has added a semantic aspect that suggests the components of the Libyan society, as it reflects the poet's view of those social issues that he addressed through His poems, where the poet portrayed the Libyan society's view in general of many issues and social, religious, national, flirtatious and other issues and phenomena.

This research presented a number of poetic models with explanation and analysis to find out the details of the social curriculum and its dimensions and its impact on the formation of poetic poems, and the aesthetic and artistic value that this approach added, and was reflected in the poems of the poet Ahmed Al-Sharif.

Key words: Social approach, Ahmed Al-Sharif, poetry.